3- نسق النسوية في سرديات عالية طالب

أ.د إيمان مطر مهدي السلطاني
كلية التربية للنبات / جامعة الكوفة / العراق
imanm.alsultani@uokufa.edu.iq

Summery:

The pattern of feminism has been linked to the life of women in reality and society and their relationship with them, and this relationship, which varied between marginalization and exclusion, or be subject to charge and contempt, or the place of respect and respect, and this is in some cases, and for some reasons, and their reactions to the behavior of society, Submissive submissive to reality or rebel against it by various means, or stand on the fence, do not take any position against anyone, even at the expense of herself, and the man is more generally the other party, which is the peer and adversary of women as well as traditions, customs, religion and the moral and cognitive system that constitute both Them a different party to A woman has an impact in shaping her position in society, and her biological and psychological composition may have influenced the formation of that oppressed and rebellious figure.

Feminist patterns appear dominant in high narratives demanded to highlight visions, dimensions and issues of marginalized, excluded, and static women. Centralization of the margin, although excluded, this will be addressed in the research (the format of feminism in high narratives Talib) in her creative work, namely: the collection of stories (passages) issued in 1989, and the novel (mother here or there) issued in 2001, and the novel (faces) Published in 2002, and the fictional group (a woman in th Behind) issued in 2004, and the group of short stories (Sea Pearl) issued in 2006, and the novel (the resurrection of Baghdad) issued in 2008, and the group of short stories (Tales of sand) issued in 2017. We will try to shed light on these literary works in accordance with the feminist pattern declared and implicit in the folds of texts.

المقدمة

ارتبط نسق النسوية بحياة المرأة في الواقع والمجتمع وعلاقتها بهما، وهذه العلاقة تنوعت بين تهميش واقصاء لها او وضعها موضع اجلال واحترام، وهذا يكون في بعض الحالات القليلة، ولأسباب معينة، وتختلف ردود فعلها اتجاه سلوكيات مجتمعها، فهي اما خاضعة مستسلمة متقبلة لواقعها او متمردة عليه بوسائل متنوعة، ويكون الرجل في الاعم هو الطرف الآخر الذي يكون الند والخصم للمرأة فضلا عن التقاليد والعادات والدين والمنظومة الاخلاقية والمعرفية التي تشكل كل منها طرفاً مغايراً للمرأة،

له أثر في تشكيل موقعها في المجتمع، وربما كان لتكوينها البايولوجي والسايكولوجي أثر في تكوين تلك الشخصية المضطهدة والمتمردة.

يظهر نسق النسوية مهيمنة في سرديات عالية طالب، لتَبرزَ رؤى وابعاد وقضايا خاصة بالمرأة المهمشة والمقصية، والساكنة، وتظهر مركزية الآخر؛ فالهامش دليل وجود المركز، ولكن في حالات يعلو صوت المهمش، ويحصل انتهاك لحالة الاسكات التي فرضتها المهيمنة السلطوية الذكورية، وهذا ما سيتناوله بحث (نسق النسوية في سرديات عالية طالب) في اعمالها الإبداعية. ونسلط الضوء على هذه الاعمال الادبية على وفق النسق النسوي المعلن والمضمر في ثنايا النصوص، وسنعتمد على رواية (قيامة بغداد) والمجموعة القصصية (حكايات الرمل) والمجموعة القصصية (بحر اللؤلؤ)، وذلك لظهور نسق النسوية واضحا في هذه الاعمال الابداعية، وعلى وفق خطة البحث التي اقتضت تقسيمه إلى ثلاثة مباحث : يتضمن المبحث الاول (المرأة النمطية) وسائل نمطية المرأة، وتظهر في الحب والزواج والامومة والجنس، ويتناول المبحث الثاني (المركز والهامش) (المواقع المتبادلة بين الرجل والمرأة من ناحيتي المركزية والتهميش)، ويركز المبحث الثالث (الذات والاخر) على العلاقة القائمة بين المرأة والآخر، على الرغم من تنوع الآخر بين رجل وحرب وسلطة وغيرها .

لقد اعتمدت على مجموعة من المصادر الهامة التي تتناول النسوية تنظيراً وتطبيقاً، منها على سبيل المثال لا الحصر (النسوية وما بعد النسوية) لسارة جامبل، وكتاب (مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية) لحفناوي بعلي، وكتاب (النظريات النسوية) لكورنيلا الخالد وغيرها .

واخيراً ارجو أن اكون وفقت في اضاءة سرديات عالية طالب في انساقها النسوية المعلنة والمضمرة فإن أصبت فبفضل من الله وتوفيقه، وان أخطأت فالكمال لله وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

توطئة:

نشأت التيارات النسوية في ظل وجود الهيمنة الابوية، والابوية ترتكز في هيمنتها على القوانين الاجتماعية والثقافية، وقوانين السلطة السياسية التي تعطي الرجل المكانة الاسمى في المجتمع، فله الافضلية في العمل والسلوك والتصويت والاختيار وغيرها. أما المرأة فهي الكائن المستضعف الذي يحرم من هذه الحقوق، و» يشير مصطلح (الابوي) إلى علاقات القوة التي تخضع في إطارها مصالح المرأة لمصالح الرجل، وتتخذ هذه العلاقات صوراً متعددة بدءاً من تقسيم العمل على أساس الجنس والتنظيم الاجتماعي لعملية الانجاب إلى المعايير الداخلية للأنوثة التي تعيش بها»[1]. ففلسفة المجتمع الابوي مبنية « على اساس الاعتراف باننا نعيش في ثقافة يهيمن عليها الذكور، حيث تبقى المرأة غير معترف بها، وحيث تجبر المرأة على ممارسة أدوار الجنس التي تتطلب أن تكون تابعة وسلبية ومربية ....الخ»[2]، فالتهميش يلازم المرأة في المجتمع الابوي، وتتعرض فيه لأبشع انواع التسلط من الرجل ؛ لانّ النساء بحسب الفكر الابوي « ادنى من الرجل، وكانت وظيفتهن خدمة الرجال، ولهذا كان من الطبيعي أن يحكمهن الرجال»[3]، ومرد ذلك إلى أن هذا التمييز بين المرأة والرجل يقوم على اساس الجنس، إذ توصف المرأة بأنها انحراف من الذكر، والذكر هو الاساس والمعيار، اما المرأة فهي ذكر مشوه[4]، على الرغم من أن « العلاقات الاجتماعية هي مصدر الاختلافات بين الجنسين» اكثر مما هي الاختلافات في الاعضاء التناسلية «[5] إلا أن هناك وضعاً اقتصادياً بينهما يستلزم اعتماد المرأة على الرجل في المجتمعات الشرقية، إن كان أباً او أخاً او زوجا أو غيره، وهذا الاعتماد تنادي به الشرائع السماوية والمجتمعات الشرقية بصورة عامة، مما يخلق نوعاً من التبعية، وهي لا تتعدى المأكل والملبس في اغلب الاحيان، مما زاد من قوة الرجل وضعف المرأة، وقوة الرجل تصل حدّ

الافراط في احيانٍ كثيرة فتصبح تسلطاً، وتصبح المرأة مهمشة .

لذلك في ظلّ هذه الظروف نشأت التيارات النسوية التي سعت إلى « تغيير المواقف القائمة، فحاولت معظم كاتبات هذه الفترة تحدي الفكرة القائلة بأن النساء صنف من الجنس البشري أدنى من الرجل، صنف لوّثه عصيان حواء في الجنة، وان قدراتها فيما يتعلق بالسلوك الاخلاقي والتفكير العقلاني أقل من الرجل »[6]، ومنها انطلقت المرأة تدعو إلى الحرية والانطلاق في عالم جديد يضمن لها العيش الكريم بعيداً عن التهميش والاقصاء، وعلى الرغم من تعدد تلك التيارات إلا أن الاساس الذي تستند اليه هو الاساس الفلسفي في رؤيتها للعلاقة القائمة بين الرجل والمرأة، وفي معظمها تدعو إلى تحرر المرأة من قيود المجتمع والدين والسلطة، وقد رافق ظهور تلك التيارات النسوية ظهور ادب سُميّ الادب النسوي او النسائي وهو « ذلك الادب الذي يسعى للكشف عن الجانب الذاتي والخاص في المرأة .....ويعبر بصدق عن الطابع الخاص لتجربة المرأة الانثوية ...ويجسد خبرتها في الحياة فضلاً عن انه يكشف بوضوح عن اهتمام المرأة بذاتها وابراز هذه الذات الانثوية لدى المرأة »[7]. بمعنى آخر « ان الادب النسوي ينظر إلى المرأة باعتبارها (بوصفها) ذاتاً وموضوعاً للكتابة، الادب الذي لا يتحقق فيه هذا الاتجاه يكون خارج الادب النسوي »[8]، فهو يشمل ما يتعلق بذات المرأة على المستويات كافة « من خلال وعيها بذاتها، وان هذا الوعي الذاتي عند المرأة هو الذي دفعها ...إلى التعبير عن نفسها في قالب ادبي »[9]، وهذا التعبير الذاتي يتخذ من الفكر الفلسفي الذي انبثقت منه التيارات النسوية مرتكزاً لهذا التعبير ؛ فهو» ليس مجرد خطاب يلتزم الصراع ضد النظام الذكوري، وضدّ التمييز الجنسي ويسعى إلى تحقيق المساواة بين الجنسين، إنما هو فكر يعمد إلى دراسة تاريخ المرأة ... وإبراز صوتها ...باختصار تدل مصطلح النسوية على الحركة النسائية والفكر النسوي وابداعاته ونظرياته في الادب النسوي»[10]، وتعددت موضوعات الادب النسوي وتشعبت، ودخلت في العلوم الاخرى، وتضمنت في اتجاهات مختلفة مثل « الجنوسة التذكير والتأنيث، و المعرفة النسوية : نسوية الثقافة والآداب والفنون، نسوية العلم، النسوية الايكولوجية والبيئة، نسوية ما بعد الاستعمار، النسوية النفسية، النسوية الاشتراكية، النسوية الزنجية، نسوية ما بعد الحداثة / او ما بعد النسوية « [11] وظهر النقد النسوي اتجاهاً من اتجاهات النقد الثقافي ليعنى بالأدب النسوي وابداع المرأة وقضاياها، « فالنقد النسوي يصف طرق (طرائق) تصوير المرأة في النصوص التي يكتبها الرجل، او حذفها هذه الصورة منها. ومن ثم، فإن النقد النسوي، يهتم (يعنى) بدراسة كيفية تأثر جمهور القارئات، بالصور الاختزالية او الاقصائية للمرأة» [12] اي انه : « يميل إلى التركيز على عالم المرأة الداخلي، بما في ذلك الامور الشخصية والعاطفية، وتجلية هذا الجانب من خلال القراءة النقدية لأعمال المرأة والقصة والاهتمام (العناية) باكتشاف التاريخ الادبي الموروث للمرأة، وهو التاريخ الذي همشته الاعمال السابقة، بفضل الهيمنة المزعومة للأدباء والمؤرخين من الذكور على هذا المجال من الخطاب النسوي وكذا السعي المستمر لتحديد سمات خاصة بلغة المرأة، والاسلوب الانثوي وما فيه من صور مجازية وخيالية [13]، ولا يعني ذلك تقسيم الادب إلى نسوي وذكوري، وانما لكل ادب سماته وخصائصه ؛ لانّ اديباً ما سواء أكان رجلاً أم امرأة سيكون أقدر من غيره على تصوير جوانب من الحياة بحكم معرفته الحميمة او الخاصة بها، وعليه فإنّ الكاتبة ... هي الاقدر ... على رصد ازقة المرأة وحواريها الداخلية وكشف عوالمها المتقلبة[14]، لذلك جاء النقد النسوي ليضيء خفايا المرأة الذاتية والنفسية وعلاقتها مع الرجل، وعلاقاتها مع المجتمع في نصها الابداعي الذي يتناول قضاياها وفكرها، وما يخالج نفسها .

المبحث الاول : المرأة النمطية

جاء في لسان العرب : « النمط : جماعة من الناس امرهم واحد. وفي الحديث : خير الناس هذا النمط الاوسط. وروي عن عليّ، كرم الله وجهه، انه قال : خير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي ويرفع اليهم الغالي ؛ قال ابو عبيدة : النمط هو الطريقة. يقال : الزم هذا النمط اي هذا الطريق. النمط ايضاً : الضرب من الضروب والنوع من الانواع. يقال : ليس هذا من ذلك النمط اي من ذلك النوع والضرب « [15] ؛ فالنمط هو الطريق والنوع والثبات على امر واحد وعدم الاختلاف، أما في المعجم الوسيط فقد جاء « (أنمط) له العطاء : أقلّهُ (نمطه) على الشيء : دلّه عليه. ويقال : نمط له على الشيء. (الانمط) : الطريقة. (النمط) : ظهارة الفراش. و– ضرب من البسط. و– ثوب من صوف ملون له خمل رقيق ويطرح على الهودج و– الطريقة، او الاسلوب، و– الجماعة من الناس أمرهم واحد. و– الصنف او النوع او الطراز من الشيء. يقال : عندي متاع من هذا النمط»[16]، اي ان النمط هوالشيء القليل، والدليل والطريقة والنوع والاسلوب، ونوع من انواع الفراش (ظهارة الفراش)، والمعاني التي وردت للنمط تدل على طريقة او نوع يمتاز بالثبات وعدم التغيير وهي ايضا « اسم منسوب إلى نمط صورة نمطية : ما يعد تمثيلاً او تطبيقاً لصورة او نوع تقليدي، على طريقة واحدة، لا تغيير ولا جديد ولا ابداع فيه اجراءات نمطية « [17]، وهذه الانماط لها علاقة بالادراك العقلي عند الانسان، إذ يكتسبها الفرد من خلال تعامله مع الاخرين ومع مجتمعه، فضلا عما تكونه مرجعياته الثقافية والمعرفية من افكار تكون مصدر معلوماته الجاهزة، وما تهيئه خبراته الحياتية في التعامل مع المواقف المشابهة او المناظرة، « فالنماذج المخزنة في الذاكرة تسمى بالانماط، وهي ثابتة ومحددة لاي مثير تمت معالجته، او تم التفاعل معه في السابق « [18]، فالمواقف والتفاعل والتعامل مع الاخرين يولد نوعا من القوالب الثابتة، تكون جاهزة في ذهن الفرد عندما، تتولد ما يشابهها او هو قريب منها، وقد تنسحب تلك الافكار الجاهزة من الافراد إلى الجماعات، وتكون خبرة مشتركة بين مجموعة من الافراد تربطهم صلات اجتماعية او ثقافية معينة، وبمرور الوقت تتحول هذه الافكار في لاوعي الافراد، ثم تنتقل إلى اللاوعي الجمعي للمجموعة : إذ تعرف النمطية بانها « عقلية قياسية يحتفظ بها جميع افراد المجموعة وتمثل راياً مبسطاً او موقفاً وجدانياً قابلاً للنقد .... ما يعكس علاقات السيطرة والتبعية والصراعات الاجتماعية وتركيب القوة «[19] وهي نسق من الافكار او المواقف او السلوكيات التي تسود في مجتمع ما [20]، وهذا النسق يتبلور بشكل جلي مع المرأة ؛ إذ المرأة بصفاتها البيولوجية وخصائصها الانثوية، لها القدرة على الحمل والانجاب، ما يؤدي وظيفة حفظ النسل البشري، وتشكيل مهيمنة لمتعة الرجل او الجنس الجميل الذي يحظى بعناية الرجال، وهي الزوجة التي تقوم باعمال البيت من اجل تحقيق الراحة لافراد عائلتها، والتي تسعى بكل الوسائل لتربية ابنائها، والسهر على تعليمهم وراحتهم ؛ إذ الخصائص التي تمتع بها المرأة كزوجة وام وحبيبة هي من الخصائص النمطية الثابتة التي تختص بها كل امرأة في اي مجتمع، في اية امة، وهي صفات ورثتها المرأة عبر العصور، واصبحت سمة لها بغض النظر عن تحررها او عدمه ؛ إذ الامومة والحب والجنس من الصفات الغريزية للمرأة، والتي تعد خصائص نمطية قارة وثابتة وغير متغيرة، فسمة التحول والتغيير لا تطرأ عليها، وان طرأت لظرف ما فهي سمة شاذة وغير طبيعية، وقد تناولت عالية طالب هذه الخصائص النمطية في سردياتها، إذ جاء في رواية قيامة بغداد على لسان الرواية : « هل كنت اعيش على هامش ذاكرتي حين رحبت بزواج ابنتي (حراء)؟ أم انني كنت ابحث عن فرح اخلقه كيفما اتفق لاقول اننا مازلنا نعيش ونتنفس وننشئ حيوات جديدة؟ تزوجت ابنتي برغم الحرب والرصاص والنار، وكان حفلها داخل البيت خوفاً من الحوادث التي كانت ترافق حفلات الاعراس ...كان زواج ابنتي نقطة الفرح في حياتي التي شعرت فيها أن الايام بدأت تركض دون ان

نحصيها حقاً. تذكرت ساعة ولادتها حين عقد قرانها، رايتها وهي تحبو أمام عيني، وهي تخربش، وهي تصرخ وتعبث... بين زواج «حراء» ابنتي وفرحي بها، اعوام من الذكريات التي لا تنفصل عن الالم والفرح القليل والتعاسة التي عشناها دون ذنب بسبب خوفنا من الموت والتعذيب والسجون والمنافي بلا عودة « [21] .

يأتي الفرح والسرور نسقاً معلناً، تريد الراوية (البطلة) أن تعلن عنه بحماس ؛ لان امومتها تحرضها وتشجعها على الاعلان عنه والتباهي به، إن زواج ابنة الراوية هو انتصار لأنوثتها هي، وهو تجسيد لامومتها، والانوثة والامومة من سمات المرأة النمطية الثابتة، التي تأبى الا أن تكون انثى وأما وزوجة حتى تحقق ذاتها الانثوية، وتبلغ قمة الامومة عندما ترى اولادها قد دخلوا الحياة الزوجية.

ولكن نسق الفرح المتفشي في النص يتبعه نسق الخوف والحزن من ذكريات وواقع مؤلمين لا يفارقان البطلة، حتى في فرحها لزواج ابنتها، « اعوام من الذكريات التي لا تنفصل عن الالم والفرح القليل والتعاسة التي عشناها دون ذنب بسبب خوفنا من الموت والتعذيب والسجون والمنافي بلا عودة»، وتتولد من لحظات الفرح بوارق امل تشع في النفوس « تزوجت ابنتي برغم الحرب والرصاص والنار ... كان زواج ابنتي نقطة الفرح في حياتي « وذكريات اعوام تتجلى فيها الامومة بأبهى صورة لها « رايتها وهي تحبو امام عيني، وهي تخربش، وهي تصرخ وتعبث «، ويبقى نسق التحدي نسقاً مضمراً يقبع خلف احداث السرد ليروي استمرار الحياة على الرغم من الخوف والموت والرصاص وفي قصة (ليلة الاصوات من مجموعتها القصصية (حكايات الرمل) جاء فيها : « يندلق وجه أمي حزيناً وهو يحتل مساحة شاسعة أمام عيني المغلقتين ...احب صوتها كثيراً وهو يتماوج بلحن حنين يسحبني إلى قصة لا تنتهي الا لتبدأ من جديد وهي تروي لي كيف تنازلت عن عرش مملكتها لعبيد لم يرحموا عشقها لرجل باغتها ليخلع عنها ثوب مدرستها فانصاعت وراء بياض رداء لم تحسن الاحتفاظ به طويلاً قبل ان يسرقه العبيد منها.

أسمع صوتها يتهدج عشقاً حين ترسم مسار نظراتهما كلما التقتا وسط تيار جارف من رعشة لا تدري كيف غادرتها لتبقى تعيش رنين صخبها داخل صدر علمني كيف امج سجائري بعمق يشابه ما فعلته باختناق الهواء لديها ... احتضن حكايتها للمرة الالف بعد الالف ولا أمل الاستماع للهفة حروفها وهي تمطها بليونة تروي قصة حب انهاها العبيد»[22] .

تروي المؤلفة على لسان بطلتها في الرواية ذكرياتها مع أم رحلت عن هذا العالم، وتبعها ابناؤها الواحد تلو الاخر، وبقيت البطلة وحدها في هذا العالم تعيد الذكريات كل لحظة، ولا تمل منها، وتتساوى لديها الاوقات كلها ؛ فالليل يشبه النهار، والنهار يشبه ما مضى من النهارات، ولا تمييز بين الاشياء ؛ إذ يتراءى لها الذين رحلوا في الاشياء والاشخاص الذين مروا بها، ولكن قصة تلك الام ترن في اذنها، ولا يفارقها، وهي تحكي لها قصة عشقها الرجل تركت اهلها وملكها من اجله، ولكن القدر لم يمهلها طويلاً حتى غادرها سريعاً، تاركاً اياها في حسرة ولوعة عليه .

جاء نسق العشق نسقاً معلناً في النص، ليروي حكاية بين امرأة ورجل عشقا بعضهما، وقد تركت كل شيء وراءها لتتزوجه وتعيش في كنفه، منعمة بحبه وقربه، وما الحب والعشق الا من صفات المرأة، التي تتبجح عاطفة وانفعالاً، وهي سمات نمطية مستقرة في كل امرأة، فجاء المشهد السردي ليروي احداث تلك العاطفة وتلك النمطية عند المرأة ولكن نسق الموت جاء متساوقاً مع نسق العشق، فإن كان الحرمان سمة العاشق فإن الموت هو الحرمان الابدي لهذا العاشق .

يتجلى نسق التمرد نسقاً مضمراً في النص « وهي تروي لي كيف تنازلت عن عرش مملكتها لعبيد لم يرحموا عشقها لرجل باغتها ليخلع عنها ثوب مدرستها « ؛ فالمعارضة الشديدة لهذا العشق لم يمنعها

من ان تتمرد عليهم، وان تتزوج به، فتعيش حياة المرأة كزوجة وأم لأولاده.

وجاء في قصة «لحظة اكتشاف القمر» من المجموعة القصصية « بحر اللؤلؤ» : جاءني صوت ضحكتها فيما صوته يتوسل بها وهي تنهض بدلال

- لا تتأخري.
- خمس دقائق فقط .

تركتك وحيدا – يا لها من بائسة، أيترك كل هذا الوجود المفعم بسحره وحيدا، قمت كالمسحورة، دون تخطيط أو سبب أو هدف. اقتربت منك، لم تسمع خطواتي، لم تلتفت الى حركة أصابعي التي لا أعرف ماذا أفعل بها فيما كان القلم منسيا بينهما، بل ربما يساندني بشجاعة غادرتني دون أن أفهم [23].

تقوم بطلة القصة (الراوية) على لسانها باستدعاء شخصياتها القصصية وتتحاور معهم، تعيش معهم فرحهم وحزنهم وكل لحظات حياتهم، وأحيانا تتبادل الأدوار معهم ؛ فبطلا قصتها يعيشان قصة حب كبيرة، ولكن التعلق الأكبر بهذا الحب كان من جانب الرجل، وعندما يحصل الانفصال بينهما، تعاتب الراوية المرأة على تركها إياه، وتتمنى أن تكون بديلا عنها، وتمارس دورها، وتكون العوض عنها .

تظهر المرأة النمطية في دلالها وغنجها نسقا معلنا في النص، وتتجسد القوة في الآخر المرأة، ويظهر ضعف الرجل أمامه وتوسله بها، وربما كانت الحاجة الجنسية لها هي مصدر ضعفه، وهي مصدر أمنيات الراوية في تبادل الأدوار مع شخصيتها الورقية، لذلك تطغى الغريزة وتتوهج في ظل الحاجة الماسة إليها .

يتجلى الحبيب الحلمي في النص، فما تتمناه الراوية من سمات الحبيب الذي لم تجده في الواقع جعلها ترسم صورة خيالية له على الورق، وأن تعيش معه على وفق ما تحب وتتمنى، وقد جاء الحبيب الحلمي نسقا مضمرا في النص .

المبحث الثاني : المركز والهامش

جاء في لسان العرب أن المركز من الفعل الثلاثي (ركز) و» الرَّكْزُ غَرْزُكَ شيئاً منتصباً كالرمح، ونحوه تَرْكزُهُ رَكْزاً في مَرْكَزه، وقد رَكَزَه يَرْكُزُه ويَركِزُهُ رَكْزاً ورَكّزَه : غَرزه في الارض ...والمراكزُ : منابت الاسنان ومرْكَزُ الجُنُد: الموضع الذي أمروا أن يلزموه وامروا أن لا يبْرَحُوه. ومركر الرجل : موضعُه : يقال اخلّ فلان بِمَرْكَزُه وارتكزتُ على القوس إذا وضعت سيتها بالأرض ثم اعتمدت عليها ومركز الدائرة : وسطها. والمرتكز من يابس النبات : الذي طار عن الورق والمرتكز من يابس الحشيش : أن ترى ساقاً وقد تطاير عنها ورقها وأغصانها. وركز الحرُّ السفا يركزه ركزاً أثبته في الارض «[24]: فالمركز هو وسط الشيء، وهو الثابت الذي لا يحتاج في ثباته إلى شيء آخر لتثبيته، وإنما هو قائم بذاته، ويمتاز بالصلابة والقوة، وجاء في المعجم الوسيط : « رَكزَ شيئاً في شيء – ركْزاً : أقرّهُ واثْبته ويقال : ركز السهم في الارض : غَرزَهُ وركز الله المعادن في الارض او الجبال : اوجدها في باطنها، وهذا شيءٌ مركوزٌ في العقول .....(اُرتكزَ) : ثبت واستقرّ و عليه : اعتمد (تركز) : ثبت واستقرَّ (الارتكاز) : نقطة الارتكاز (في الميكانيكا) : الموضع الثابت الذي تتوازن عنده قوتا الدفع والمقاومة. ويقال : اتخذ الجيش مدينة كذا نقطة ارتكاز : قاعدة لعمله»[25]، فمعاني المركز هي الثبات والايجاد والاستقرار وموضع القوة .

أما الهامش فقد ورد في لسان العرب من الاصل اللغوي (همش)، و قد جاء : « الهمشة : الكلام والحركة، همش وهمش القوم فهم يهمشون وتهامشوا وامرأة همشى الحديث، بالتحريك : تكثر الكلام وتجلب. والهمش : السريع العمل بأصابعه. وهمش الجراد : تحرك ليثور والهمش : العض، وقيل : هو سرعة الاكل .. ويقال للناس إذا كثروا بمكان فاقبلوا وادبروا واختلطوا : رايتهم يهتمشون ولهم همشة وكذلك الجراد إذا كان في وعاء فعلى بعضه في بعض وسمعت له حركة تقول : له همشة في الوعاء. ويقال .... الهمش والهمش كثرة الكلام والخطل في غير صواب «[26]، اي أن الاصل اللغوي للتهميش هو الحركة والجلبة والسرعة. وجاء في المعجم الوسيط : « (همش) الرجل – همشا : اكثر الكلام في غير صواب و– القوم : تحركوا و – الجراد : تحرك ليثور و – الشيء – همشاً : جمعه (همش) الكتاب : علق على هامشه ما يعن له (هامشه) في كذا : عاجله فيه. (اهتمش) القوم : كثروا بمكان فأقبلوا وادبروا واختلطوا والدابة : دبت دبيباً (تهامش) القوم : اختلط بعضهم ببعض وتحركوا (تهمش) الشيء : تأكل وتحكك. (الهامش) : حاشية الكتاب. وفلان يعيش على الهامش : لم يدخل في زحمة الناس»[27] والمعاني التي تضمنها المعجم الوسيط للتهميش هي الحركة والسرعة والتعليق على جوانب واسفله وايضاً الاضمحلال والتلاشي.

يشكل المركز بؤرة للآخر (الهامش) وهو مهيمنة تسيطر في مناحي الحياة المختلفة، فلا بد للمجتمع من قيادة، وللسياسة من سلطة، وللاقتصاد من ممول او مستثمر وللأسرة من رب لها، ويدخل ذلك ايضاً في النفس البشرية التي يشغلها شخص او فكرة او رؤية او معتقد او غير ذلك، ويشكل مركزاً لها، بل ان الانسان نفسه هو مركز الحياة و الكون. فمركزتيه تعني « المذهب الذي يجعل الانسان مركز العالم، ويعد خير الانسانية علة غائية لكل شيء « [28] ويظهر المركز من نتاج « عملية ايكولوجية تتجمع بمقتضاها الخدمات في منطقة محددة، وهي عادة ما تكون مركزاً لوسائل الاتصال والمواصلات « [29]، ويمكن تعريف المركز بانه نقطة لتجمع الاشياء والقيم والاشخاص والمبادئ حول بؤرة مركزية تشكل اساس عمل، وينطوي تحتها الآخرون. والعلاقة القائمة بين المركز والهامش هي علاقة تكاملية ؛ فلولا المركز لما وجد الهامش، ولولا الهامش لما وجد المركز، وهي علاقة الكل بأجزائه ؛ فالأجزاء باجتماعها تكون هذا الكل (المركز) والكل هو نتاج الاجزاء جميعها، لذلك فهما « منهج متعدد محاور الجدل، نحلل بواسطته وضعيات تاريخية معنية، حيث نعاين هذه الوضعيات من خلال ميكاينزمات التمركز والتهميش التي على اساسها يدار الصراع على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي في آن واحد» [30]، وبذلك يصبح الهامش كل ما يشير إلى المنبوذ وغير المهم والمتمرد [31] والخارج عن السياقات الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، ولكن هناك من جعل الهامش اصلاً ينافس المركز[32]، وهذا الامر لا يصح الا في حالات نادرة، كالثورات السياسية والانقلابات العسكرية التي تقوض نظام المركز وتخلخله و تسعى إلى هدمه، وبناء نظام آخر يقوم مقامه.

وفي نسق النسوية في سرديات عالية طالب يظهر المركز والهامش جلياً في نصوصها، كما في رواية قيامة بغداد : « بعد أن اختفت الحكومة وبطانتها، تركت منازلهم فارغة ... وفتحت ابواب تلك البيوت للعامة، تدعوهم لدخولها وسرقتها، ودخل من دخل من افراد عاشوا طوال حياتهم محرومين من رؤية وتملك وتلمس معنى النزف الحقيقي. سرق المحرومون مقتنيات المسؤولين وشركاتهم ودوائرهم ومكاتبهم، بمباركة اميركية، كانت الدبابات تقف بأبواب تلك الاماكن لتهيئ للمحرومين عملية سرقة منظمة ومحروسة من قبلهم، فيما تلتقط وسائل الاعلام الغربية المرافقة لتلك القوات صوراً حية لهذه الظاهرة، وتبثها لكل العالم»[33] .

تروي الساردة احداث السرقات التي عمت العراق بعد دخول القوات الاميركية له، وقام المهمش

(المحروم) بسرقة ما تقع عليه يداه من اثاث واجهزة وملابس وادوات للسلطة الحاكمة (المركز)، وبذلك يصبح المركز هامشاً، والهامش مركزاً ؛ إذ تتبادل الادوار، ويصبح المعدم المسحوق صاحب قرار في سلب ما للمركز من وسائل تميزه عن المعدم والمهمش، والآخر (المحتل) يصبح الظهير للمعدم (السارق)، بل أصبحت السرقة فعلاً مسوغاً ومباركاً من الآخر (المحتل) .

يظهر نسق الهزيمة للمركز واضحاً في النص (اختفت الحكومة وبطانتها، تركت منازلهم فارغة)، هذه الهزيمة لا تكون في ساحة قتال، بل بهجران البيت ومكان العمل، والهروب إلى أماكن مجهولة، وتسبب الهزيمة السرقة وتهيئ لها، ولكن يتجلى نسق المؤامرة نسقاً مضمراً في النص ؛ فالسرقة تتم تحت اشراف المحتل وحمايته، وما ذاك الا ليكون من ضمن خطة لانتهاك سيادة الدولة، واهتزاز صورة العراقي أمام الراي العام، وبذلك خلق مبررات للاحتلال الذي عورض من دول متعددة ؛ فالمحتل الذي أصبح نصيراً للعراقي المهمش في العلن يبقى مركزاً في المضمر والخفاء ليحقق غاياته وأهدافه .

وفي قصة (آخر ليلة) من المجموعة القصصية (حكاية الرمل) لعالية طالب، تقول القاصّة على لسان الرواية : « لم يتبق من الليل الا خمس ساعات سأحاول فيها أن أغفو بعد أن وجدت « بسمة» مكاناً يكفي لجسدها النحيل فانزوت متكورة على نفسها بطريقة تذكرني بأيام طفولتها حين كانت تأخذ الوضع ذاته تعبيراً عن رغبتها بأن تكون وحيدة، حاولت أن اقنع نفسي بأن النوم ليس مهماً ولن أشعر بالإرهاق فيما لو بقيت مستيقظة وسيكون باستطاعتي أن أنام في السيارة التي ستأتينا في السادسة صباحاً لترحل بنا إلى خارج الحدود .. طردت من فكري ضباب الخوف الذي يحوم حوله كلما فكرت بما يمكن أن يواجهنا في ذلك الطريق الذي يتعرض اغلب من يسلكه للموت او القتل او الاختطاف، احتضنت المصحف الصغير بيدي وانا التحف الغطاء السميك الذي ترك لي على الكنبة الضيقة التي تبقت فارغة بانتظاري .. لم يكن حجم الغرفة يزيد على ثلاثة امتار بعد ان اعتذرت قريبتي (أم عمار) عن عدم توفر غرفة اخرى تكفي لاحتوائنا انا و» بسمة» في آخر ليلة لي في بلدي قبل أن أغادر إلى المجهول الذي ينتظرني وأنا اصطحب كلّ ما تبقى لي من عائلة تتمثل بابنتي ذات الثمانية عشر ربيعاً[34] .

تمثل الذات النِّسوية ذاتا والمجهول آخر، ولكنَّ المجهول يمثل محوراً تدور حوله احداث القصّة، وتصبح الذات هامشاً، تتعرض فيه للخوف والموت والقتل والاختطاف، وليس هناك من يحميها او يبت في نفسها الامان والثقة بالنفس، فلا تجد الامان الا في احتضانها المصحف، ففيه ثقة بالله لا تعوض عن اية ثقة اخرى، ويطاردها الخوف حتى في منامها من المجهول الذي ينتظرها خارج الحدود، تخاف فيه على نفسها وعلى ابنتها الشابة ذات الثمانية عشر عاماً، لذلك يأتي نسق الخوف نسقاً معلناً في النص (طردت من فكري ضباب الخوف الذي يحوم حوله كلما فكرت بما يمكن ان يواجهنا في ذلك الطريق)، يتشبث بها، ويبقى لصيقاً بها، لكن وسط هذا الخوف من المجهول يظهر امل يتردد خجلاً في الابنة (بسمة) الذي يوحي اسمها بأمل مشرق ربما يخبئه المستقبل في مكان آخر، فيظهر نسق الأمل والتفاؤل نسقاً مضمراً في النص، وهذا الأمل لا يبزغ الا في ظلّ الهجرة إلى بلد آخر، لعلها تجد فيه الملاذ الامن الذي تطمح للعيش في ظله، فيأتي نسق الهجرة المعلن متساوقاً مع نسق الامل المضمر.

يصبح الوطن ضيقاً يشير إلى غرفة ثلاثة امتار ولا يوحي بالأمان والطمأنينة (لم يكن حجم الغرفة يزيد على ثلاثة امتار بعد ان اعتذرت قريبتي «أم عمار» عن عدم توفر غرفة أخرى تكفي لاحتوائنا انا و» بسمة»)، فالآخر (الوطن) يصبح ضيقاً لا يفي بالغرض، ولا يحقق المبتغى، ويصبح الاخر «المجهول» أمانا واستقراراً، وربما يحمل الخير للذات المهمشة.

ويظهر الاخر هامشاً والذات مركزاً كما في قصة (ظلال حافية) من المجموعة القصصية (بحر اللؤلؤ)، إذ جاء فيها :» بالطبع أعرفك، وأنا أراك ومنذ زمن لا أستطيع تحديده، أسابق خطواتك المتهالكة، وأحاذيك رغم أنك في النهاية دائما ... لماذا يسألني الان، وما الذي يريدني أن أعرفه، لا أظنه سؤالاً مهما، هو متأكد تماما ... أنا ... يا للغرابة ... فلكم عرفت من أشياء سابقة وأغمضت عينيّ وحواسي عليها متجاهلة وجودها برعونة ... أمقتها لكن دون تبرئ منها ..»[35] .

يلتقي بطلا القصة بعد فراق دام عشر سنوات، وكان يربطهما فيما مضى علاقة حبٍّ، انصهرت بها عواطفهما وأحاسيسهما المختلفة، ولكن اللقاء كان غائما غير واضح الملامح، إذ ينتابها النسيان، ولا تستطيع تذكره، أما هو فقد أصابته شيخوخة مبكرة، ولا زال يعيش أحاسيس الحبّ ذاتها، لذلك كان يقف في طريقها كلّ يوم لعلها تتذكره، ولكنها تمرّ من أمامه من دون أن تعرفه.

يظهر الاخر مهمشا محطما، آلام الزمن تبرز في ملامحه، وفي شيخوخته المبكرة، ويتعرض للإهمال من الذات بعدم التعرف عليه، ويشعر بالأسى لذلك، وتعيش الذات الم الفراق، ووحشة البعد والضياع، ولكنها متسلطة في اتخاذها قرار الفراق، قرار اتخذته عن عناد وغرور، ودفعت ثمن ذلك في أنها عاشت حياتها بلا حبّ أو أمل، ومثّلت مركزاً متسلطاً في ماضيها وحاضرها، ومثّل هو الهامش في ماضيه وحاضره .

المبحث الثالث : الذات والاخر

جاء في لسان العرب في معنى الذات أن العرب تقول : « لقيته ذا صباح، ولو قيل : ذات صباح مثل ذات يوم لحسن لان ذا وذات يراد بهما وقت مضاف إلى اليوم والصباح وفي التنزيل العزيز :» فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم» ؛ قال ابو العباس احمد بن يحيى : اراد الحالة التي للبين، وكذلك اتيتك ذات العشاء، اراد الساعة التي فيها العشاء ؛ وقال ابو اسحق : معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم اي اتقوا الله وكونوا مجتمعين على امر الله ورسوله، وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين أي اصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون»[36]، اي جاءت (ذات) بمعنى الحالة التي يجتمع عليها اثنان او اكثر، وجاءت في المعجم الوسيط ان (الذات) هي : « النفس والشخص. يقال في الأدب : نقد ذاتي : يرجع إلى آراء الشخص وانفعالاته وهو خلاف الموضوعي ويقال : جاء فلان بذاته : عينه ونفسه ويقال : عرفه من ذات نفسه : سريرته المضمرة وجاء من ذات نفسه : طبعاً (وذات صدر) : سريرة الانسان وفي التنزيل العزيز : « والله عليم بذات الصدور» «[37]. اي بمعنى الشخص والنفس وسريرة الانسان ودواخله.

ما الاخر فقد جاء في لسان العرب : « الاخر خلاف الاول، والانثى اخرة ... والاخر، بالفتح: احد الشيئين وهو اسم على أفْعَل، والانثى اخرى ...والاخر بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر ... ومعنى آخر شيء غير الاول ...ويقال في الشتم : ابعد الله الاخر، بكسر الخاء وقصر الالف، والاخير ولا تقوله للأنثى. وحكى بعضهم : أبعد الله الاخر، بالمد والاخر والاخير الغائب. شمر في قولهم : إن الاخر فعل كذا وكذا، قال ابن شميل : الأخر المؤخر المطروح ؛ وقال شمر : معنى المؤخر الابعد ؛ قال : اراهم ارادوا الاخير ....هو الا بعد المتأخر عن الخير، ويقال : لا مرحباً بالآخر اي بالأبعد»[38]، وجاء في المعجم الوسيط : « الاخر أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد ... بمعنى غير (الآخر) : مقابل الاول ويقال جاؤوا عن آخرهم ... الاخر : الاخير، و– المتأخر عن الخير. و– المؤخر المطروح «[39]، اي ان الاخر هو المغاير والبعيد والمتأخر، على الرغم من انه احد شيئين يكمل احدهما الاخر وهما من جنس واحد.

تقوم ثنائية الذات والآخر محوراً في كثير من مجالات المعرفة المختلفة، وهي ثنائية يتصارع

طرفاها في شكل من اشكال الصراع، فلا يخلو مجتمع ما من صراع افراده بالرؤية والاهداف والعمل والسلوك وغيره، بل إن الافراد انفسهم ربما يشكلون باتحادهم فرداً يصارع المجتمع، او أن الفرد الواحد يصارع مجتمعه، وتعرف الذات بانها « التحقق الفعلي الممزوج من (الانا) والافعال المنتقاة انها الشخصية المتشكلة من هذا المزج والاصطفاء، وهي المثال الذي تنشد (الانا) الوصول اليه او والوضع الاعلى الذي ترغب في بلوغه، إذ تبدا (الانا) بالتفكير فيما يجب ان تكون عليه ثم تنتقل إلى الفعل في طريق بناء (الذات) = (الشخصية)، لتنتهي ببلورة الهوية المعّبرة عن هذه (الانا) الجديدة، التي انتقلت من مرحلة الفعل إلى التحقق، من البناء إلى الاكتمال، ولا يعني هذا التوقف عن التطوير، فحركية (الذات) مستمرة «[40] ؛ فالذات لها علاقة وطيدة بـ(الانا)، وتنشأ هذه العلاقة من الوعي في النفس الانسانية التي تشكل (الانا) ؛ «إذ الوعي اساس المعرفة، التي هي (ذات) و(هوية) فـ (الانا) او (الذات) تنشأ من تأمل (أنا) أخرى واعية داخلها، تفكر فيها وتصوغ ملامحها، وتبحث في اسسها وركائزها، لتصوغ منها (ذاتاً) او موضوعاً له ركيزة وخصائص ومبادئ معينة في انشاء العلاقة مع (الاخر) مرّت بمراحل من الاصطفاء والانتقاء. من هنا تبدأ علاقة (الذات) بـ (الانا) في مرحلة تشبه مرحلة المرأة «[41]. أما الآخر « فهو يشير على (إلى) المغايرة في جانب او اكثر بين (الذات) او (الانا) وطرف آخر في وجود موضوعي في الذهن او في الفن وهو مرتبط بمصطلح (الغير) التي تعني وضع الشيء او المرء في موضع الآخر، او المختلف او الخارج عن الانتماء اليها «[42]، ولا يأتي الآخر واحداً، بل يتعدد بتعدد الانا او الذات « فقد يتحدد الاخر بالقياس إليّ كفرد، او إلى جماعة معينة قد تكون داخلية كالنساء بالقياس إلى الرجال والفقراء بالقياس إلى الاغنياء، او خارجية بالقياس إلى مجتمع بصورة اعم»[43]، وتتنوع صورة الاخر في الذات، فمن خلال التفاعل القائم بين الذات والاخر يحصل الانعكاس بينهما، وكل طرف منهما يتكون المواضعات المادية والمعرفية والمجتمعية التي تسهم في تكونيه، ومن تفاعل هذين الطرفين (الذات والآخر) يتلمس احدهما الآخر التركيب والمواصفات والماهية وغيرها[44].

وجدلية (الذات والآخر) تتجلى في سرديات عالية طالب، كما في رواية قيامة بغداد : « بعد شهر واحد او شهرين، تبدلت اوضاعهم جذرياً معنا، كنا نسير في الشوارع وهم قربنا، لا نهتم لترك المسافات فيما بيننا، الا أن الوضع تبدل بعد ان بدؤوا يتعرضون للهجمات المتكررة، واصبح وجودهم في الشارع يعني ان علينا ان نترك مسافة نصف كليومتر او كليومتر بيننا وبينهم.

مهانة تلو مهانة بدأت تمارس يومياً في الشوارع، رتل طويل من السيارات يتكدس حتى تمر السيارات الأميركية التي يصوب الجنود فيها رشاشاتهم إلى وجوهنا وصراخهم يدوي في الشوارع، وإذا ما غفل احد منا ولم ينتبه لمرورهم، فإن نصيبه سيكون فورا طلقة في الرأس ترديه قتيلاً، هو وكل من معه بالسيارة .

قتل الكثير منا لمجرد انهم وجدوا انفسهم وجهاً لوجه امام ارتال عسكرية اميركية، ولم يعرفوا كيف يتصرفون حينها، مات نساء واطفال ببساطة لان الجنود اعتقدوا انهم يتقصدون الاقتراب منهم لقتلهم .[45]

تسرد الراوية احداث ما بعد 2003م، واحتلال العراق من القوات الاميركية، وتتعرض فيه لسلوكيات ومواقف ورؤية هذه القوات مع ابناء الشعب العراقي، وتظهر الذات المهمشة، والآخر المحتل المتسلط الذي لا يتوانى عن إطلاق الرصاص على رأس من يراه أمامه، لمجرد أن القدر ساقه إلى ان يكون وجهاً لوجه مع هذه القوات، فتاتي الذات مسلوبة الارادة تعاني التهميش والابادة من دون أن يكون لها ما تدافع به عن نفسها اومن يدافع عنها، فتضيع حقوقها وسط دوامة الاحتلال،

اما الاخر (المحتل) فيملك القوة والعتاد والتكنولوجيا الحديثة التي تهيء له كل وسائل الحماية والدفاع عن النفس ؛ لذلك هناك بون شاسع بين الذات والآخر في النص.

يظهر العداء نسقاً معلناً بين الذات والآخر، (أن علينا أن نترك مسافة نصف كليومتر او كليومتر بيننا وبينهم ... واذا ما غفل احد منا ولم ينتبه لمرورهم، فإن نصيبه سيكون فوراً طلقة في الرأس ترديه قتيلاً)، هذا العداء يتحول من احساس بان الآخر محتل وهو مغتصب لأرض العراق إلى قاتل، يقتل كل ما يجده أمامه خوفاً منه ؛ لذلك يظهر نسق الخوف وعدم الامان نسقاً مضمراً تشعر به الذات المهمشة والآخر المحتل، نسق تتوجس فيه النفوس، وتتلاشى النوايا الحسنة وتتهشم الثقة بينهما ؛ فالذات عدوّ معلن للآخر، والآخر عدوّ معلن للذات ؛ فروابط التواصل تنقطع بينهما وتهدم، ويظهر نسق المقاومة وارادة التحرر نسقاً مضمراً يعلن في الخفاء، ويمارس حينما تحين فرصة لذلك (إلا أن الوضع تبدل بعد أن بدؤوا يتعرضون للهجمات المتكررة)، وهذه الذات النسوية هي الذات التي تتألم لوجود المحتل وتحمل كل العداء والكراهية له .

وتظهر (الذات والآخر) في قصة (من يتصل بي ؟) من المجموعة القصصية (حكاية الرمل) لعالية طالب حينما تتشظى الذات ويصبح الآخر الماضي المؤلم والمستقبل المجهول، حيث جاء في (القصة : « أحمل صوت امي وهي تئن بوهنٍ ونظراتها تبحث عن اطرافها التي لم نجدها حين انهار الشارع امامها في الدواسة يوم ذهبت لفحص عينيها اللتين ارهقهما البكاء على من رحل من اخوتها .. اسمع صراخ ابي وهو يهرول بحثاً عن اخي الذي غادر منذ ربع ساعة لبداية شارعنا ليلتقي بأصدقائه قبل أن تتلاشى ارواحهم بإطلاقات ذوي اللحى المغبرة .. يتغلغل في رأسي لهاث اختي ونشيجها يوم اصرت على شراء فستان جديد لعيد ميلادها الذي لم تره بعد ان ضاعت سنواتها القادمات في نثار سيارة الاجرة فوق الجسر القديم قبل ان تصل إلى مفترق شارع النبي شيت .. وحيدة أنا اتسلم كل هذه الاصوات التي تتدلق مع رنين هاتفي واشعر بان صديقتي تتعمد أن تشعرني بالوهم منذ التقيت بها في هذا البلد الذي يبعد آلاف الكيلو مترات عن بلدي، وكأنها لا تعرف أن رأسي تركته هناك فوق وسادتي قبل أن ينثرها آخر موت لم أتسلم قبله رنين هاتفي [46] .

تنشطر الذات الراوية بين ذاتين، ذات تعيش في الماضي، وذات تعيش في الحاضر، ذات الماضي تشدها إلى وطنها، حيث تركت أهلها بين مفقود وقتيل، وفاقد لأعضائه، ومهووس بالبحث عن أشلاء ابنه الذي فقده في اطلاقات عشوائية، وبين ذات تعيش الغربة والبعد عن الأهل والوطن، وتشعر بالضياع وعدم الانتماء إلى شيء، وتفتقد الأحبّة والأصدقاء، وما رنين الهاتف المتكرر إلا إشارة إلى الذكريات الأليمة التي لا تفارقها، وتدق نواقيسها في روحها ونفسها، ولا تفارقها في جميع لحظات يومها.

تظهر الوحدة والغربة مهيمنة في النص ؛ فتعاني البطلة الوحدة لفقد الاهل الواحد تلو الآخر حتى باتت وحيدة إلّا من صديقة لا تشعر بآلامها ووحدتها، لذلك كانت الوحدة والغربة من الأنساق المعلنة في النص (وحيدة أنا أتسلم كل هذه الاصوات التي تتدلق مع رنين هاتفي)، ويأتي نسق الموت نسقاً معلناً ايضاً « صوت أمي تئن بوهنٍ ونظراتها تبحث عن اطرافها التي لم نجدها حين انهار الشارع امامها ... اسمع صراخ ابي وهو يهرول بحثاً عن أخي .... ليلتقي بأصدقائه قبل أن تتلاشى ارواحهم بإطلاقات ... لهاث اختي ... بعد أن ضاعت سنواتها القادمات في نثار سيارة الأجرة)، بل يسيطر على النص بكامله، ويظهر الحنين إلى الوطن نسقاً مضمراً، فرنين الهاتف المتكرر يشير إلى ذكرى أهل ووطن، أهل غيبهم الموت، ووطن غادرته البطلة مجبرة حفاظاً على حياتها، ولكن ذلك الوطن بقي يعيش في داخلها، ويخز ضميرها بتركه ؛ لذلك كانت الذات منشطرة ؛ بين ذات تريد العودة إلى

بلدها الذي ولدت وترعرعت فيه، وبين الخوف من الموت الذي ينتظرها، فكان الآخر هو الوطن والأهل .

ويأتي الأخر على شكل رجل شجاع يقود الجنود إلى النصر، كما في قصة «حبّ في زمن الحرب» من المجموعة القصصية « بحر اللؤلؤ» : « أحملك الان هاجسا أطوف بك فوق أسيجة الممرات العصيبة وأحمل صدى ضحكاتك الخافتة، وأنا أحدثك عن رغبتي في رؤيتك يوما بين جنودك وأنت تتناول الطعام معهم ومن الطبق ذاته، حدثتني كثيراً عنهم وكيف تقيم صداقات حميمة معهم، وكيف يودعونك في الإجازة ويستقبلونك حين تعود»[47] .

يتجلى الاخر إيجابياً، يتحلى بالشجاعة والإقدام، وقوة الإرادة، ويملك خلقا رفيعا، وتواضعا ساميّا أهلّه أن يكون بين جنوده صديقا لهم، وليس امراً عليهم، والذات لا تقلّ شأناً عنه، خلقاً وشجاعةً ووطنية، فكلاهما امتدادٌ للآخر، ولا ينفصل عنه، لذلك كان حبّ الوطن النسق المعلن لكليهما، تفوق على حبّ آخر، حتى الحبّ الذي يجمعهما، ففي زحمة انشغالها ببلدها تناست وجوده وعواطفه، وتناست أيضا عواطفها وأحاسيسها، فلا تتذكر منه سوى وجوده بين جنوده في ساحة المعركة، وهذا النسق يضمر آخر يلوح في الأفق وهو النصر لبلدهما الذي ينتميان إليه، فمن يحمل هذه الأحاسيس فلا بدّ أن يكون النصر حليفه.

الخاتمة

في نهاية البحث لا بد أن نجمل اهم النتائج والاستنتاجات التي خرج بها كالآتي:

1 – جاءت سرديات عالية طالب بعد 2003م سيرة ذاتية لها، تروي ما تشاهده وما تعيشه على ارض الواقع.

2 – طغى نسق النسوية في سرديات عالية طالب بدلالة اتخاذها ضمير المتكلم (الراوية) في معظم اعمالها، وبدلالة اتخاذها ابطال اعمالها الابداعية امرأة .

3 – ظهرت المرأة النمطية (القوالب الثابتة) مهيمنة في سرديات عالية طالب فبرزت الامومة والانوثة والحب والزواج والجنس مهيمنات في نصوص السردية .

4 – كان المركز هو الآخر، اما الذات فغالباً ما تكون مهمشة ومسلوبة الارادة، وفي احيان اخرى تتمرد الذات لتصبح مركزاً، وترى المركز يصبح مهمشاً، فيظهر تبادل الادوار بين المركزية والتهميش.

5 – لم يكن الاخر هو الرجل دائماً، بل جاء الآخر في صور متعددة ؛ منها : المحتل، والمجهول، والغربة، والوطن، والأهل، وغيره، إذ الآخر ليس غيرياً دائماً، بل يأتي في صورة مجانسة للذات او مقاربة منها .

6 – برزت أنساق التمرد والقوة والارادة، والتوق إلى الحرية وغيرها أنساقاً مضمرة تتضمنها النصوص السردية.

الهوامش:

1) النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، تر: أحمد الشامي، مراجعة : هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م، 22.

2) النظرية النسوية، متقطفات مختارة، ويندى كيه، كولمار، فرانسيس بارتكوفيسكي، تر : عماد إبراهيم، مراجعة وتدقيق: عماد عمر، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2010م، 21.

3) أرسطو والمرأة، أ .د إمام عبد الفتاح، ط 1 مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر 1996م، 36.

4) ينظر : النظرية النسوية، مقتطفات مختارة 99.

5) المصدر نفسه 99.

6) النسوية وما بعد النسوية 23 .

7) الذات الأنثوية في ثلاثة نماذج من السرد النسوي، د إبراهيم خليل، المركز الثقافي الملكي، 1997م، 20

8) الرواية النسائية العربية، د .سعيد يقطين، مجلة الأقلام، ع 3، بغداد، 1998م، 21 .

9) مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، حفناوي بعلي، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم

ناشرون، الجزائر، لبنان، 2009م، 33.
10) النظريات النسوية ود كورنيلا الخالد، المركز الثقافي الملكي، عمان 1997م، 5 .
11) مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية 29.
12) المصدر نفسه 30.
13) المصدر نفسه 32.
14) تمرد الأنثى، نزية أبو نضال، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الأردن، 2004م، 11.
15) لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور (711–630) هـ اعتنى بتصحيحها : امين محمد عبدالوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط1، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2010م، 8/251 .
16) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، ط2، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركية، 2/955 .
17) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ط 1، منشورات عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2008م، 1/2286 .
18) علم النفس المعرفي، د .رافع النصير الزغلول ود. عماد عبد الرحيم الزغلول دار الشروق للنشر والتوزيع، 119.
19) بنية الصورة وسياسة الاتصال أ .د .حميدة مهدي سميسم، مجلة الباحث الإعلامي، جامعة بغداد، حزيران، ايلول، ع6، 7، 2009م، 21.
20) صورة المرأة في أدب وادي الرافدين، دراسة في ضوء النقد النسوي، نوال هادي حسن، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة 2017م، 30 .
21) قيامة بغداد، عالية طالب، ط2، أور للطباعة والنشر، بغداد، 2017م، 138–136 .
22) حكايات الرمل، مجموعة قصصية، عالية طالب، ط1، أور للطباعة والنشر، ذي قار، الشطرة، 2017م، 23–22 .
23) بحر اللؤلؤ، عالية طالب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2006م: 13.12 .
24) لسان العرب 4/171.
25) المعجم الوسيط 1/369 .
26) لسان العرب 9/101.
27) المعجم الوسيط 4/994 .
28) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م، 2/365 .
29) قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، 52 .
30) جدلية المركز والهامش، قراءة جديدة في دفاتر الصراع في السودان ابكر آدم اسماعيل، ط2، منشورات منظمة حقوق الإنسان والتنمية، 91 .
31) المركز والهامش في القصيدة النسوية العراقية (2013–2003)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، 2016 م، 7 .
32) استطيقا المهمش في فن ما بعد الحداثة، د. علي شناوة ال وادي، د. رحاب خضير عبادي، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، العراق، 2010م، 51 .
33) قيامة بغداد 90 .
34) حكايات الرمل، مجموعة قصصية 59 .
35) بحر اللؤلؤ: 20 .
36) لسان العرب 3/355 .
37) المعجم الوسيط 1/307 .
38) لسان العرب 74–1/72 .
39) المعجم الوسيط 9–1/8 .
40) ثنائية (الأنا) و(الآخر) الصعاليك والمجتمع الجاهلي، عبد الله بن محمد طاهر تريسي، مجلة التراث العربي، ع، 120، 121، كانون الثاني، نيسان، 2011م، 171 .
41) المصدر نفسه 171.
42) شعراء الهوية، علاء عبد الهادي، عالم الفكر، 286.
43) تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د. نادر كاظم، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م، 20 .

44) ينظر: الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين، حسين العودات، ط،1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2010م، 20–19 .
45) قيامة بغداد 99 .
46) حكايات الرمل، مجموعة قصصية، 21–20 .
47) بحر اللؤلؤ: 61 .

المصادر والمراجع :

1 – الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين، حسين العودات، ط،1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2010م.
2 – أرسطو والمرأة، أ .د إمام عبد الفتاح، ط 1 مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر 1996م .
3 – استطيقا المهمش في فن ما بعد الحداثة، د. علي شناوة ال وادي، د. رحاب خضير عبادي، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمان، العراق، 2010م .
4 – بحر اللؤلؤ، عالية طالب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2006م .
5 – بنية الصورة وسياسة الاتصال أ .د .حميدة مهدي سميسم، مجلة الباحث الإعلامي، جامعة بغداد، حزيران، ايلول، ع6، 7، 2009م .
6 – تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د. نادر كاظم، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م .
7 – تمرد الأنثى، نزية أبو نضال، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الأردن، 2004م .
8 – ثنائية (الأنا) و(الآخر) الصعاليك والمجتمع الجاهلي، عبد الله بن محمد طاهر تريسي، مجلة التراث العربي، ع، 120، 121، كانون الثاني، نيسان، 2011م .
9 – جدلية المركز والهامش، قراءة جديدة في دفاتر الصراع في السودان ابكر آدم اسماعيل، ط2، منشورات منظمة حقوق الإنسان والتنمية .
10 – حكايات الرمل، مجموعة قصصية، عالية طالب، ط1، أور للطباعة والنشر، ذي قار، الشطرة، 2017م.
11 – الذات الأنثوية في ثلاثة نماذج من السرد النسوي، د إبراهيم خليل، المركز الثقافي الملكي، 1997م .
12 – الرواية النسائية العربية، د .سعيد يقطين، مجلة الأقلام، ع 3، بغداد، 1998م .
13 – شعراء الهوية، علاء عبد الهادي، عالم الفكر .
14 – صورة المرأة في أدب وادي الرافدين، دراسة في ضوء النقد النسوي، نوال هادي حسن، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة 2017م .
15 – علم النفس المعرفي، د .رافع النصير الزغلول ود. عماد عبد الرحيم الزغلول دار الشروق للنشر والتوزيع .
16 – قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية .
17 – قيامة بغداد، عالية طالب، ط2، أور للطباعة والنشر، بغداد، 2017م .
18 – لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور (711–630) هـ اعتنى بتصحيحها : امين محمد عبدالوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط1، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2010م .
19 – مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، حفناوي بعلي، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، لبنان، 2009م .
20 – المركز والهامش في القصيدة النسوية العراقية (2013–2003)، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة بابل، 2016 م .
21 – المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م .
22 – معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ط 1، منشورات عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2008م.
23 – المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، ط2، دار الدعوة للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركية .
24 – النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، تر: أحمد الشامي، مراجعة : هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م .
25 – النظريات النسوية، د كورنيلا الخالد، المركز الثقافي الملكي، عمان 1997م .
26 – النظرية النسوية، ، منقطفات مختارة، ويندى كيه، كولمار، فرانسيس بارتكوفيسكي، تر : عماد إبراهيم، مراجعة وتدقيق : عماد عمر، ط1، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2010م .